الإسلام رسالة السلام والتسامح

(أمثلة تطبيقة من السيرة النبوية)

Islam: The Message of Peace and Tolerance

(Some examples from the Biography of the Holy Prophetﷺ)

د. عبده محمد عتين*

ABSTRACT

Islam is a religion of peace and tolerance. This fact is very much evident from the very title of *Islam*. In this research article, the author explores the meaning of Islam, Salam (Peace), and Tasa muh (Tolerance), lexicologically and technically, and finds the integral mutual relationship between, Islam, peace and the observance of tolerance.

Peace is the foremost feature and goal of Islam, to which this religion leads and guides. The observance of tolerance is essential to achieve a peaceful environment in a heterogeneous and pluralistic human society. This paper confirms from the Quran, Ahadith and Sirah of the holy prophet Muhammad ﷺ that how much Islam and the prophet ﷺ of Islam are concerned about the maintenance of peace and how intense the advice and the teachings of tolerance are in Islam. Islam believes in the peaceful living with the people of different faiths, cultures, creeds and colours. For this purpose, Islam respects and ensures the observance of basic human rights and the essential freedom of religion, thought, expression, etc.

The author determines the meaning, scope and parameters of peace and tolerance, so as the Muslim may not misunderstand the concept of peace and tolerance and may not go to the extent that they compromise with the Islamic spirit.

Keywords: *Islam; Peace; Tolerance; Equality; Interaction; Da'wah.*

* المدير الاقليمي لمكتب رابطة العالم الاسلامي وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في باكستان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد!

إن الله جل وعلى قد شرفني بأن أمثل رابطة العالم الاسلامي من خلال مكتبها في باكستان وبمناسبة عقد هذا المؤتمر المبارك الذي تنظمه الجامعة الوطنية للغات الحديثة في إسلام آباد بالتعاون مع مكتب رابطة العالم الاسلامي في باكستان تحت عنوان "**السلام العالمي في ضوء السيرة النبوية**" فإنني أكد أن مكتب الرابطة في باكستان يبارك مثل هذه المؤتمرات المباركة التي تأتي في وقت نحن أحوج ما يكون للسلام والأمن العالمي في وقت تعصف بالعالم أمور كثيرة وأولها فقدان الأمن والسلام.

لقد بذلت رابطة العالم الاسلامي في هذا السياق جهودا كثيرة ونظمت مؤتمرات كثيرة في معظم دول العالم مبينة للعالم التعريف بالإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا ودعت وما زالت تدعو إليه وتوعية المسلمين بحقائقه النبيلة وفقا للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وعملت الرابطة وما زالت تعمل على تحقيق رسالة الإسلام في نشر السلام والعدل وحفظ حقوق الإنسان الذي كرمه الله على كثير ممن خلق و سعت الرابطة وما زالت تسعى لشرح تعاليم الإسلام الصحيح والدعوة إليه على بصيرة من الأمر ودحض الإفتراءات عليه والتصدي لمحاولات التشويه لصورته الرائعة والتضليل الموجه ضد دعوة الحق.

ولقد نادت مرارا للعمل على تنمية التعارف والتعاون بين الشعوب الإسلامية والعمل على إيقاظ الوعي المشترك بقضايا المسلمين وتطلعاتهم إلى تحقيق الأمن والعدل والسلام والإستقرار وبذلت جهود كثيرة لحل المشكلات التي يواجهها العالم الإسلامي وقدمت العون للمسلمين في حل مشكلاتهم وتحقيق امالهم المشروعة وبذلت الجهود الممكنة لدفع عوامل النزاع والشقاق وفساد ذات البين داخل الشعوب والجاليات الاسلامية وفيما بينها وسعت لنشر الفضيلة والإصلاح في

الأرض ودفع الافساد عنها وحث الناس على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ كما سعت لنشر ثقافة الحوار الحضاري بين شعوب العالم والعمل على تعميق التعايش الإيجابي والتركيز على القيم الإنسانية المشتركة والتصدي لنظريات الصراع الحضاري. ودعت إلى نبذ التعصب وتدين التمييز النعصري.

هذا هو منهاج مكتب الرابطة في باكستان الذي ينال كل الرضى والإحترام من المجتمع الباكستاني حكومة وشعبا.

المطلب الأول:تعريف المصطلحات لغة واصطلاحا

أولا:الإسلام لغة واصطلاحا:

الإسلام لغة:

كلمة الإسلام مشتقة من "سلم"، وهي مصدر لفعل رباعي هو "أسلم". يقول العلامة ابن فارس في مادة: "سلم": السين واللام والميم ، معظم بابه من الصحة والعافية ، فالسلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى ، قال أهل العلم: الله ، جل ثناؤه ، هو السلام ، لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء. ثم يقول: ومن الباب أيضا: الإسلام وهو: الانقياد ، لأنه يسلم من الإباء والامتناع(١)

ويعرف الإسلام لغويا بأنه التسليم والإستسلام والإنقياد ، تقول سلمتك الشيء ، أي تركته لك فأصبح خالصاً لك والمقصود الإستسلام والمذلة والخضوع والتسليم بما يؤمر به الإنسان أو ينهى عنه والإستسلام لأمر الله ونهيه بلا اعتراض، وقيل هو الإذعان والانقياد وترك التمرد والإباء والعناد(٢).

ويقول الراغب الأصفهاني : "الإسلام هو الدخول في السلم ، وهو أن يسلم كل واحد منهما من أن يناله من ألم صاحبه" (٣).

الإسلام اصطلاحا:

فسر رسول الله ﷺ الإسلام بأنه: أن يشهد الإنسان أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً. وهذه هي أركانه كما ثبت ذلك في حديث ابن عمر (٤)

فالإسلام في الاصطلاح يطلق على إطلاقين:

١- الإطلاق العام وهو كل ما جاء به محمد ﷺ ، فيشمل ذلك عمل القلب، وعمل اللسان، وعمل الجوارح، ويكون مرادفا للإيمان .

٢- إطلاقه على عمل الجوارح دون أن يدخل فيه الإعتقاد، وإنما يدخل فيه من عمل القلب النيات والحضور والخشوع ونحو ذلك فقط وقد اجتمع فيه الإيمان والإسلام وهذا الإطلاق يدل عليه حديث جبريل.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى

"هو الاستسلام لله لا لغيره ، بأن تكون العبادة والطاعة له والذل ، وهو حقيقة لا إله إلا الله "(٥).

ثانيا:السلام لغة واصطلاحا:

السلام لغة:

السلام لغة: اسم مصدر من سلَّم يسلِّم تسليما ،كالكلام والطلاق ، وهو بمعنى النجاة والتخلص مما لا يُرغب فيه ، يقال: سلم من الأمر إذا نجا منه ، وهذه المادة (سلم) تفيد معنى التخلص من الآفات والنجاة منها ، فهو بمعنى السلامة ، وكذا ما اشتق من هذه المادة فهو يدل على هذا المعنى ، فهى تدل على معنى الصحة والعافية فالسلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى(٦)

فالله سبحانه تعالى هو السلام؛ لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء، قال الله جل جلاله: ﴿ واللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ) (٧).ومن

معناه: المسالمة، وهو المصالحة، وتجنب الحرب،وقيل: السلام والسلامة: البراءة، وتسلم منه: تبرء.. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (٨).

أي: تسلما وبراءة، لا خير بيننا وبينكم ولا شر.وقد يجوز أن يكون السلام جمع: سلامة، والسلام: التحية، ومنه قوله: ﴿دَعْوَاهُم فِيْهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، وَتَحِيَّتُهُم فِيْهَا سَلَامٌ﴾(٩) .

السلام اصطلاحا:

يطلق لفظ السلام في النصوص الشرعية ويراد به عدة أمور ، ترجع كلها عند التأمل إلى معنى مادة الكلمة ، وهو البراءة من العيوب ، ومن هذه الإطلاقات:

١- يطلق ويراد به اسم الله تعالى ، قال تعالى﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ﴾(١٠) سمي بذلك سبحانه لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء .

٢- يطلق ويراد به السلامة من الآفات ، وهو المعنى الأصل ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾(١١)، أي: قولاً يسلمون فيه من مقابلة الجاهل بجهله .

٣-يطلق ويراد به التحية ، وهو قولنا: السلام عليكم ومنه قوله تعالى﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ (١٢) .

٤- يطلق ويراد به الصلح والمهادنة ، وضده الحرب ، ولهذا وردا متقابلين في نصوص كثيرة منها: قول النبي صلى الله عليه وسلم :اللهم اجعلنا هداة مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، حربًا لأعدائك ، وسِلْمًا لأوليائك(١٣). وسمى سلاما لأنه يحصل به سلامة من القتال وتبعاته(١٤)

وبهذا يتبين لنا أن السلام من الألفاظ المشتركة ، والذى يحدد معناه إذا ورد هو السياق ، والسلام الذى نحن بصدد بحثه هو الذي بمعنى الإطلاق الرابع ، وهو المراد عند إطلاقه في العصر الحاضر ، لاسيما في وسائل الإعلام .

ثالثا:التسامح لغة واصطلاحا:

التسامح لغة:

مادة سمح: (السين، والميم، والحاء) أصل تدل على السلاسة والسهولة. ويقال سمح وأسمح: إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء؛ لسهولة ذلك عليه، والمسامحة: المساهلة، وسمح بكذا يسمح سموحا وسماحه: جاد وأعطى، أو وافق على ما أريد منه(١٥) .

التسامح اصطلاحا:

فقد عرفه الإمام الجرجاني التسامح والسماحة في الإصطلاح بقوله " بذل ما لا يجب تفضلا " (١٦).

وفي معنى التسامح مع الغير، في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور، والملاينة فيها، التي تتجلى في التيسير وعدم القهر(١٧).

دعوة الإسلام إلى السلام

عرف الإسلام منذ فجره بدعوة السلام الذي هو عنوانه ومادته التي اشتق منها بنى علاقة المسلمين بعضهم ببعض على المحبة والأخوة، ورد لفظ السلام وما اشتق منه في كتاب الله عز وجل في أربع وأربعين آية، منها خمس مدنية، والباقيات مكية، في حين لم يرد لفظ الحرب إلا في ست آيات، كلها مدنية.وهنا لفتة جميلة لا بد من التنبه إليها،وهي أن القرآن الكريم يدعو إلى السلام في الدرجة الأولى، ويحث عليه، ويرغب فيه، ويرفض الحرب والتنازع والفرقة.حقيقة أن رسالة الاسلام هي رسالة السلام والتسامح والمحبة فالإسلام تحث على حسن الخلق والتسامح والمحبة.

ومن الآيات الكريمة الدالة على هذا المفهوم:

١- قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾(١٨).

أي: إن مالوا إلى المسالمة والمصالحة والمهادنة؛ فَمِلْ إلى ذلك، واقْبَلْهُ منهم، كما وقع في صلح الحديبية لما طلب المشركون الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله ﷺ ، فقد أجابهم النبي ﷺ إلى ذلك مع ما اشترطوا عليه من الشروط؛ رغبة في السلم والمسالمة.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْقَى إِلَيكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾(١٩) فقد فسر معنى (السلام) فيها بـ(السلم)؛ أي: بالمسالمة التي هي ضد الحرب.

ويدل على ذلك قوله: ﴿ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ ﴾، ولم يقل: (عَلَيكُم)، فدل على أن المقصود به: ترك القتال؛ كما في الآية الأخرى: ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُم وَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوا إِلَيكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُم عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾(٢٠) ، وقوله: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُم وَيُلْقُوا إِلَيكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُم فَخُذُوهُم﴾(٢١).

وإن الدعوة إليه تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة واللين والطيبة كما يتمثل في الأسلوب والنهج الذي اتبعه خيرة البشرية وهم الأنبياء عليهم السلام في الدعوة وفي مقدمته خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام يدعو أباه صانع الأصنام إلى الإسلام بألطف الألفاظ فيخاطبه بأرق الكلمات قائلا ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾(٢٢) .

وللتسامح قيمة كبرى في الإسلام فهو نابع من السماحة بكل ما تعنيه من حرية ومن مساواة بغير تفوق جنسي أو تمييز عنصري ، بحيث تحث هذه الرسالة المتمثلة في ديننا الحنيف على الإعتقاد بجميع الديانات حيث قال الله تعالى

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾(٢٣).

والتسامح ليس هو التنازل أوالتساهل أوالحياد اتجاه الغير، بل هو الإعتراف بالآخر. إنه الإحترام المتبادل والإعتراف بالحقوق العالمية للشخص وبالحريات الأساسية للآخرين وإنه وحده الكفيل بتحقيق العيش المشترك بين شعوب يطبعها التنوع والإختلاف.

نعم إن رسالة الاسلام هي رسالة السلام والتسامح والمحبة حيث قال رسول اللهﷺ في التسامح ((إِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ))(٢٤). والأحاديث شاهدة على أن دعوة النبي ﷺ هي: (السلام)، فلم يكن نبينا ﷺ يدعو إلى الحرب، ولا إلى المخاصمة، والتنازع، ولا إلى التشاجر، بل يدعو إلى السلام، ويهدي الناس إليه ويدلهم عليه ، فمن ذلك:

حديث عبادة بن الصامت يقول ((إِنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ قَالَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَتَصْدِيقٌ بِهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ قَالَ أُرِيدُ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ السَّمَاحَةُ وَالصَّبْرُ))(٢٥).

وقوله ﷺ ((من أَصبحَ آمنًا في سِرْبِه، معافًى في جَسدِه، عنده قوتُ يومِه؛ فكأنما حيزت له الدُّنيا))(٢٦) وقوله: ﷺ ((المسلم أخو المسلم، لا يَظْلِمُه، ولا يُسْلِمُه))(٢٧)

وهذا كله يدل على السلام والمصالحة بين الناس وأن الإنسان لا يكون سعيدا في هذه الدنيا إلا بالسلام.

دعائم السلام و آدابه

ففي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، عدة قواعد وأحكام ينبني عليها مفهوم السلام، مما يشكل للمسلمين قانونا دوليا يسيرون عليه، وينطلقون من خلاله.فمن هذه القوانين والشروط الواجب توفرها حتى يتم السلام:

١-المساواة بين الشعوب

يقرر الإسلام بأن الناس ينتمون إلى أصل واحد بغض النظر عن اختلاف معتقداتهم وألوانهم وألسنتهم ، فهم إخوة في الإنسانية قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٍ﴾(٢٨). وقوله: ﷺ ((كُلُّكم لآدمَ، وآدمَ من ترابٍ، لا فضلَ لعربيٍّ على أَعْجَمِيٍّ إلا بالتقوى))(٢٩)

٢-الوفاء بالعهود

إن من شروط تحقيق السلام بين الشعوب والمجتمعات الوفاء بالعقود والعهود ،فالأخوة الإنسانية توجب قيام العلاقة بين الشعوب والأمم على المودة والوفاء بالعقود والعهود، ومنع العدوان، وإيثار السلم على الحرب إلا للضرورة.قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ)(٣٠) وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا﴾(٣١). وقوله تعالى:﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذَّينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُم أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيهِم إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المقْسِطِينَ﴾(٣٢).

٣-إقامة العدل ودفع الظلم

الإنصاف والعدل والمساواة، كلها من ركائز السلام وقواعده،فالأخوة الإنسانية توجب إقامة العدل والإنصاف بينهم، فلا يعتدي أحد على حق أحد، ولا يظلم أحد أحدا.وعلى الدولة الإسلامية أن تعدل مع أَعدائِها، كما قال الله عز وجل:﴿وَلَا يَجْرِمُنَّكُم شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾(٣٣).

فإذا حصل ظلم أو تعد من الطرف الآخر فليكن رد الإعتداءِ بمثله، لا يتعداه، بل إن المعاملة بالمثل تخضع في كثير من جوانبها لأخلاق الإسلام السامية،

ومبادئه السمحة الراقية، فإذا لجأ العدو إلى قتل الأطفال والنساء والشيوخ أو اعتدوا على الأعراض والممتلكات فليس من الإسلام أَن نفعل كفعلهم.

مبادي الإسلام في التعامل مع غير المسلمين

١–حرية الإعتقاد

احترم الإسلام العلاقات الإنسانية مع أهل الشرائع والأديان الأخرى حرية الإعتقاد احتراما كاملا وبهذا المنهج الرباني قام الإسلام على مبدأ عدم الإكراه ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾(٣٤).

قال ابن كثير رحمه الله :"لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه ، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا" (٣٥).

وليس من حق أحد أن يكره أحدا على ترك دينه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **((مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا))**(٣٦).

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه طبق روح التسامح في الإسلام حين دخل بيت المقدس فأعطى الأمان لسكانها من النصارى وجاء في وثيقة الأمان التي أعطاها عمر لأسقف بيت المقدس" أن لا تسكن مساكنهم ولا تهدم ولا ينقص من أموالهم شيء ولا يكرهون على دينهم"(٣٧).

فهذا درس عملي لما ينبغي أن يكون عليه التسامح الديني ومرت على المسلمين قرون طويلة انفردوا فيها بالسلطة المطلقة، ومع ذلك أوسعوا لغيرهم من أرباب الديانات الأخرى في بلادهم، فعاشوا بينهم لهم مالهم وعليهم ما عليهم.

٢–التسامح

يشهد التاريخ الإسلامي بالتسامح مع أهل الديانات الأخرى الذي يحث على الصبر والرفق والسماحة بدل العنف والشدة والقتل ،حيث دعا القرآن إلى مجادلة كل هؤلاء بالتي هي أحسن ومحاولة إقناعهم بالحكمة والموعظة الحسنة يقول الله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(٣٨).

تبين كثير من الآيات ومواقف رسول الله ﷺ أنه رسم سياسة التسامح في علاقات المسلمين بغيرهم حيث طبق النبي ﷺ هذا المبدأ العظيم في معظم معاهداته وحروبه فمثلا "صلح الحديبية" التى تمثل الحكمة النبوية في إيثار السمحة وحقن الدماء وقد سمى الله ذلك الصلح فتحا مبينا،قال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾(٣٩).

يقول الشيخ محمد الغزالي "إن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سن في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تعهد في عالم مليء بالتعصب والغلو، والذي يظن أن الإسلام دين لا يقبل جواره دينا آخر، وأن المسلمين قوم لا يستريحون إلا إذا انفردوا في العالم بالبقاء والتسلط هو رجل مخطيء ومتحامل"(٤٠).

أنواع التسامح:

التسامح الديني: وهو التعايش بين الأديان، بمعنى حرية ممارسة الشعائر الدينية والتخلي عن التعصب الديني والتميز العنصري.

التسامح الفكري: آداب الحوار والتخاطب وعدم التعصب للأفكار الشخصية والحق في الإبداع والإجتهاد.

٣-البر والإحسان

من مبادي المهمة التى أقرها الإسلام بشأن علاقة المسلمين مع أصحاب

الديانات الأخرى فهى مبنية على الرحمة والبر والإحسان إليهم،﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(٤١).

وأوصى رسول الله ﷺ بحقوق الجار ولو كان كافرا حيث قال ﷺ الْجِيرَانُ ثَلاثَةٌ : جَارٌ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ ، وَهُوَ أَدْنَى الْجِيرَانِ حَقًّا ، وَجَارٌ لَهُ حَقَّانِ ، وَجَارٌ لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ : فَجَارٌ مُشْرِكٌ لا رَحِمَ لَهُ ، لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقَّانِ : فَجَارٌ مُسْلِمٌ ، لَهُ حَقُّ الإِسْلامِ وَحَقُّ الْجِوَارِ ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ : فَجَارٌ مُسْلِمٌ ذُو رَحِمٍ ، لَهُ حَقُّ الإِسْلامِ ، وَحَقُّ الْجِوَارِ ، وَحَقُّ الرَّحِمِ(٤٢).

يقول الشيخ محمد الغزالي: "إن الإسلام لا يكف لحظة واحدة عن مد يده لمصافحة كل ملة ونحلة في سبيل التعاون على إقامة العدل ونشر الأمن وصيانة الدماء وحماية الحرمات"(٤٣).

٤- المجادلة بالحسنى

الإسلام أول شريعة حاورت خصومها بالمنطق وجادلتهم بالعقل وعاملت مع أصحاب الديانات الأخرى بالحسنى أثناء دعوتهم حيث دعا القرآن إلى مجادلة كل هؤلاء بالتي هي أحسن ومحاولة إقناعهم بالحكمة والموعظة الحسنة قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(٤٤).

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(٤٦)

فأمر المسلمين أن ينظروا إلى غير المسلمين من أهل الكتاب وغيرهم على أنهم بشر وأن يدعوهم بالتي هي أحسن، بل ورسخ الإسلام في قلوب المسلمين من

أجل التسامح البر بأهل الكتاب، وحسن الضيافة لهم، فها هو القرآن يقول للمسلمين:﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾(٤٦)

ويجسد القرآن الكريم هذا المعنى في خطابه للرسول المعلم(٤٧) في قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾(٤٨).

كل هذه الأسس رسخ الإسلام في قلوب المسلمين ليحدد التسامح المطلوب من إنسان يعيش على وجه هذه البسيطة، وليمارس هذا التسامح ممارسة رائعة، تنبثق من إنسان بعث ليؤكد للناس إنسانيته الرائعة.

شواهد تاريخية على تسامح الرسول ﷺ

إن سماحة الرسول ﷺ لتتجلى فى الموقف كثيرة بينما كانت الأمم تعامل أسراها معاملة العدو البغيض فتقتلهم أو تبيعهم أو تسترقهم وتسخرهم فى أشق الأعمال بينما حياته ﷺ كانت مليئة بالسماحة والبشاشة فلم يؤذ أحدا ولكن كان يعفوا ويصفح وهناك شواهد من التاريخ الإسلامي على تسامح الرسول ﷺ متمثلة في سنته فتبعه أصحابه وتبعه المسلمون بعده وكانت وما زالت صفة التسامح هي إحدى السمات الراقية للإسلام.

١–سماحته ﷺ مع رجل الذى رفع سيفه

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ نَجْدٍ فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا وَعَلَّقَ سَيْفَهُ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْنَا فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاخْتَرَطَ سَيْفِي فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ صَلْتًا قَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قُلْتُ اللَّهُ فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ فَهُوَ هَذَا قَالَ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ(٤٩).

٢–سماحته ﷺ لوفد نصارى نجران

استقبل النبيُّ ﷺ وفد نصارى نجران، وسمح لهم بإقامة الصلاة في مسجده(٥٠).

٣–سماحته ﷺ مع وفد نصارى الحبشة

استقبل وفد نصارى الحبشة وأكرمهم بنفسه وقال:ﷺ ((إنَّهم كانوا لأصحابنا مكرمين، فأحبُّ أنْ أكرمهم بنفسي))(٥١).

٤–سماحته ﷺ مع رئيس المنافقين

لقد كان رسول الله ﷺ يستخدم التسامح ويستعمله حتى مع المنافقين الذين يعرف أنهم كذلك ومع أنهم يمثلون أعداء الداخل فعفى رسول الله ﷺ عن ابن أبي سلول مراراً، وزاره لما مرض، وصلى عليه لما مات، ونزل على قبره، وألبسه قميصه، وهذا الرجل هو الذي آذى رسول الله ﷺ في عرضه يوم حادثة الإفك فيقول عمر لرسول الله ﷺ : أتصلي عليه وهو الذي فعل وفعل؟ فيقول النبي ﷺ ((يا عمر إني خُيّرت فاخترت قد قيل لي:﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ"، ولو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر له لزدت﴾(٥٢) فنسخ جواز الصلاة عليهم بقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ﴾(٥٣) لكن التسامح لم ينسخ أبدا.

٥–سماحته ﷺ فى الأسرى وأهل الذمة

عامل أسرى بدر معاملة حسنة ذلك بانه وزع الأسرى على أصحابه وأمرهم ان يحسنوا إليهم فكانوا يفضلونم على انفسهم فى طعامهم وشرابهم٥٤.

وكذلك أطلق أسرى بنى المصطلق (٥٥).

٦–سماحته ﷺ لأهل مصر

استقبل النبيُّ ﷺ هديةً من المقوقس في مصر، وهي الجارية التي أنجبت إبراهيمَ ولد المصطفى ﷺ، ثمَّ وقف فقال:

((استوصوا بالقبط٥٦ خيرا، فإنَّ لي فيهم نسبا وصهرا))(٥٧).

٧–سماحته ﷺ في يوم فتح مكة

لا أحد ينسى أعظم موقف عفو وتسامح عندما دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحا منتصرا فإذا كفار مكة ممن آذوه وشتموه وعطلوا دعوته إذا هم بين يديه فقال رسول الله ﷺ لقريش ((ما تظنون أني فاعل بكم)) قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم ، قال((اذهبوا فأنتم الطلقاء))[٥٨]هل فكّر رسول الله ﷺ بالإنتقام أو الثأر؟ لا والله بل أطلق أعظم وثيقة عفو حينما نطقها بكل تسامح .

شهادة بعض علماء الغرب عن التسامح في الاسلام

وقد شهد كثير من المسيحيين واليهود بتسامح الإسلام. قال السيد توماس أرنولد في كتابه " الدعوة إلى الإسلام": " لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هدا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما اعتنقته عن اختيار وإرادة وحرية، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد عل هذا التسامح". وهذا درس عملي لما ينبغي أن يكون عليه التسامح الديني الذي يجب أن ينبع بنفس النهج الذي سلكه السلف الصالح، وأن ينطلق من موقف القوة والاعتزاز لا من موقف الضعف والاستسلام.

وأخيرا نسال الله جل جلاله أن يمن على شعوب العالم بنعمة الامن والامان والسلام إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش والإحالات

١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، دار الفكر ،١٣٩٩ – ١٩٧٩، ص:٣/٩٠ ، االبن منظور، لسان العرب مادة (سلم)، دار صادر ص: ١٢/٢٩٣

٢) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، دار العلم للملايين ، بيروت ،الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م ص: ٥/١٩٥٠

٣) راغب الأصفهاني،مفردات القرآن، دار المعرفة ، ص:٢٤٠

٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان ،باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس،رقم الحديث ٧، دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ،ص:١/٢٣

٥) ابن تيمية ،مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية ص: ٥/٢٣٩

٦) الزمخشري، محمود بن عمر ،أساس البلاغة، دار الكتب العلمية ، ١٤١٩ – ١٩٩٨ص:٣٠٦

٧) سورة يونس:٢٥

٨) سورة الفرقان:٦٣

٩) سورة يونس:١٠

١٠) سورة الحشر:٢٤

١١) سورة الفرقان:٦٣

١٢) سورة النساء:٩٤

١٣) جامع الترمذي ،دار الفكر،١٤٢٦ هـ ،كتاب الدعوات، باب منه،ص: ٥/ ٤٨٣، (٣٤١٩)، وصححه ابن خزيمة في صحيحه ، المكتب الإسلامي، ١٤٢٤ هـ ،ص: ٢/ ١٦٦

١٤) و ورد السلام بهذا الإطلاق بألفاظ أخرى مرادفة له ، ومشتقة من نفس مادته ، منها: السَّلْم بفتح السين وسكون اللام ، والسِّلْم بكسر السين وسكون اللام أنظر: لسان العرب،ص: ١٢/٢٩٣

١٥) معجم مقاييس اللغة ، ص ٣/٩٩

١٦) الجرجاني ،علي بن محمد السيد الشريف ، التعريفات بتحقق: محمد صديق المنشاوي،دار الفضيلة ص:١٦٠

١٧) موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة ،ص:٦/٢٢٨٧،(١٧١٦)

١٨) سورة الأنفال:٦١

١٩) سورة النساء:٩٤

٢٠) سورة النساء:٩٠

٢١) سورة النساء:٩١

٢٢) سورة مريم: ٤٤، ٤٥

٢٣) سورة البقرة:٢٨٥

٢٤) كتاب الإيمان.بَابٌ الدِّينُ يُسْرٌ، وَقَوْلُ النبي ﷺ أَحَبُّ الدِّينِ إلى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ،رقم الحديث

٢٥) مسند أحمد بَاقِي مُسْنَدِ الْأَنْصَارِ أي العمل أفضل قال الإيمان بالله وتصديق به وجهاد في سبيله،رقم الحديث ٢٢٢١٠

٢٦) جامع الترمذي ، رقم (٢٣٤٦)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ص:٢/٢٧٤ برقم (١٩١٣).

٢٧) صحيح البخاري،ص ٢/٨٦٢ ، رقم الجديث ٢٣١٠

٢٨) سورة الحجرات:١٣

٢٩) رواه أحمد ٢٢٩٧٨

٣٠) سورة المائدة:١

٣١) سورة الإسراء:٣٤

٣٢) سورة الممتحنة:٨

٣٣) سورة المائدة:٨

٣٤) سورة البقرة:٢٥٦

٣٥) ابن كثير، ا سماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي،تفسير القرآن العظيم دار طيبة١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ص،١/٣١٠

٣٦) صحيح البخاري، كتاب الديات،باب إثم من قتل ذميا بغير جرم، ٦٥١٦

٣٧) ابن كثير، البداية والنهاية ،٧/٣٥٦ ، بيت الأفكار الدولية

٣٨) سورة النحل:١٢٥

٣٩) سورة الفتح: ١

٤٠) محمد الغزالى، فقه السيرة ، دار الكتب الحديثة ١٩٦٥ ،ص:١٩٤

٤١) سورة الممتحنة : ٨

٤٢) الطبراني ، مسند الشاميين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ،رقم الحديث ٢٤٥٨
٤٣) محمد الغزالى، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٥،ص:٨٠
٤٤) سورة النحل :١٢٥
٤٥) سورة العنكبوت: ٤٦
٤٦) سورة المائدة :٥
٤٧) محمد السيد الجليند، دراسات في الفكر الإسلامي، مكتبة الزهراء، القاهرة، سنة ١٩٩٠،ص،١٧٧
٤٨) سورة آل عمران، ١٥٩
٤٩) صحيح البخاري، كتاب الجهاذ والسير، بَاب مَنْ عَلَّقَ سَيْفَهُ بِالشَّجَرِ فِي السَّفَرِ عِنْدَ الْقَائِلَةِ،رقم الحديث ٢٧٥٣
٥٠) سيرة ابن هشام:ص: ٥٧٣/١
٥١) صحيح البخاري ، الرقم، ١٣٣٠
٥٢) مشكل الآثار للطحاوي،٦٦/١، مؤسسة الرسالة،١٤١٥هـ
٥٣) سورة التوبة:٨٤
٥٤) مختارات من سماحة الإسلام ص، ٣٥
٥٥) ابن هشام، السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي بيروت ص، ٤،٢٦٧
٥٦) القبط هم عرب مسيحيين يستقرون إلى الآن بمصر
٥٧) صحيح مسلم ، ص:٤/ ١٩٧٠
٥٨) السنن الكبرى للبيهقي ص: ١١٨/٩ دار الكتب العلمية،١٤٢٤ هـ

****